

أضواء البيان

@ 235 كما جاء في حق فرعون في قوله تعالى : { حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَامَنْتُ أَزَّهٌ لَا إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِي ءَامَنْتُ بِهِم بَنُوٓا۟ ٱلسَّرَآءِلِ وَأَزَّهٌ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ } ، ف قيل له : { ءَأَن وَّقَدَّ ءَمَّيْتَّ قَدِيلُ وَاكُنْت مِّنَ الْمُفْسِدِينَ } . . .

وجاء أصح ما يكون في قوله : { يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ زَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنْتُ مِّن قَدِيلُ أَوْ كَسَيْتُ فِى إِيْمَانِهَا خَيْرًا } . . .

فلما جاء بعض آيات □ وظهر الحق ، لم يكن للإيمان محل بعد المعاينة { لَا يَنْفَعُ زَفْسًا إِيْمَانُهَا } أي من قبل المعاينة كحالة فرعون المذكورة ، لأن حقيقة الإيمان التصديق بالمغيبات ، فإذا عاينها لم تكن حينذاك غيباً ، فيفوت وقت الإيمان والعلم عند □ ، وعليه حديث التوبة : ما لم يغفر . قوله تعالى : { إِنْ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِٱلْغَيْبِ لَهُمْ مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ } . والخشية : شدة الخوف ، كما قال تعالى : { ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِٱلْغَيْبِ وَهُمْ مِّنَ ٱلسَّآءَةِ مُشْفِقُونَ } . . .

وبين تعالى محل تلك الخشية في قوله : { إِنْ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ ٱللَّهَ مِمَّنْ ءَعْبَادُهُ ٱلْعُلَمَاءُ } لأنهم يعرفون حق □ تعالى وبرايقونه . . . وقد بين تعالى حقيقة خشية □ : { وَإِنَّ مِّنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَآ يَتَخَفَّجَّرُ مِّنْهُ ٱلْأَنهَارُ وَإِنَّ مِّنْهَا لَمَآ يَشَقَّقُ فَيَخْرُجُ مِّنْهُ ٱلْمَآءُ وَإِنَّ مِّنْهَا لَمَآ يَهْبِطُ مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ } . . . وقوله : { لَوْ أَنزَلْنَا هَآذِهِ ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ } . . .

فالذين يخشون ربهم بالغيب هم الذين يعرفون حق □ عليهم ومراقبته إياهم في السر والعلن ، ويعلمون أنه مطلع عليهم مهما تخسفوا وتستروا وهم دائماً منيبون إلى □ ، كما في قوله : { هَآذِهِ مَآ تُوْعَدُونَ لِكُلِّ أَوْسَابٍ حَفِيظٍ مِّنْ خَشْيَةِ ٱلرَّحْمَٰنِ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلَابٍ مِّنْ ذَيْبٍ } ، وهذه أعلى درجات السلوك مع □ تعالى ، كما بين أنها منزلة العلماء . . .

وقد عاب تعالى أولئك الذين يستخفون من الناس ولا يستخفون من □ ، ويخشون

